قافلة الدم
في أصل الحليوان

' ٤٧- الخمر والشفائف '

إننـــى ســـكران[1] مـــن شـــراب شـــفائفك
فلـــن يكـــون مثلـــى ســـكران ونشـــوان آخـــر
مـــن خـــلال حبـــك أبســـط يـــدى إلى الـــوردة
كـــالغريق فـــى البحـــر يلقـــى بيـــده حتـــى إلى النبـــات
هـــل هـــذا احمـــرار وجهـــك الجميـــل وبياضـــه
أم أن مطـر الـدم الممتزج بالمـاء يتسـاقط علـى وجهـى
مـــا الأثـــر الـــذى يمكـــن أن يتركـــه فيـــك دمعـــى
إن النـــار تـــزداد اشـــتعالا بدمـــوع الكبـــاب
علـــى العشـــاق أن يفتحـــوا عيونهـــم فـــى العشـــق
هـذا ليـس بوقـت النـوم، بـل إنـه مقـام السيل والطوفـان
إننـى عندمـا شـاهدت ورأيـت وشمـك بـين حـاجبيك
فإنه ليـس لمثـل هـذا الإمـام والمحـراب وجـود فـى الوجـود

---

(١) سكران (مست) بالأفغانية: وهو عند الصوفية العارف الكامل الذى استولى العشق الإلهى على كل صفاته الباطنة، فغاب عن ذاته فى نشوة العشق الإلهى،فأصبح محو الموهوم. ومراد الشاعر الصوفى من القدح والكأس هو الخمر السرمدية، وهى رمز للعشق الذى تنبثق منه المعرفة، ومن يرتشف ذلك القدح إنما يقصد أن يخرج عن ذاته.

إن السبب فى عدم رؤية الملاك
هو أنه يلف وجهه فى الحجاب[1] حياء من جمال وجهك
يخجل من وجهك عندما يطلع النهار
ومن هنا يعيش القمر فى الليلة المظلمة
خذ الحجاب وسود وجوه هؤلاء الناس
الذين يمدحون جمال الشمس فى دور جمالك
لست أنا الذى يلقبك بالمحبوب الفاتن
إن الله هو الذى منحك هذا الخطاب
إن رسم الخط والوشم على صفحة وجهك
كعلامات الإعراب (التشكيل) فى صحف القرآن
ليس فى مقدور عبد الرحمن أن يحسب مزايا حسنك
حيث إنه حسن لا حد له.. لا تعد مزاياه ولا تحصى
لم يكتب أحد كتابا واحدا فى بنى " سربن "[2]
إلا عبد الرحمن الذى كتب هذا الكتاب

" ٦٢١ "

---

(١) الحجاب: عند الصوفية هو المانع بين العاشق والمعشوق وانطباع الصور فى القلب الذى يمنع قبول تجلى الحقائق، ويحول بينه وبين أسباب ظهور الفيوضات والتجليات الإلهية.

(٢) سربن: ينسب الشاعر عبد الرحمن بن عبد الستار إلى قبيلة " سربن " وهو الجد الأكبر لهذه القبيلة الأفغانية.

' ٤٨- الحسن وحرارة الشمس '

حين رأت الشمس حسنك الذى لا حد له ولا حصر
من هذه الرؤية المقصودة نشأت الحرارة ونبعت من الشمس
من همك الشديد أصبحت جفونى كعروق حمراء
أو أنها خيام ذات بطانة سوداء حبالها حمراء
أملا فى انتظار لقائك صارت عين النرجس أربعة[١]
واحمرت باقة الأزهار بدم القلب وغرقت
ينبغى لو انعطفت ضفائرك[٢] والتوت على وجهك
لأنه أين توجد مقدرة الشعر لمقاومة حرارة الشمس؟
منذ أن ابتلانى الله بالتعرف على حزن همك
فقد أصبح سرورى وابتهاجى بعد ذلك مفقودا تماما
احمرت جفونى بالبكاء بسبب الفراق والبعد
وأثر اخضرارها قام واختفى بسبب الماء

---

(١) صارت عين النرجس أربعة: هذه العبارة ترجمة لمثل أفغانى مأثور. يقول المثل: " دوه سترگى مى په لاره سلور(٤) شوى " ومعناه: أن عينى الاثنتين أصبحت أربعة بسبب طول النظر إلى الطريق انتظارا لمجيء الحبيب أو العزيز منه، يقال هذا المثل عند انتظار العاشق معشوقه بلهفة وشوق شديدين، وهو ينظر إلى الطريق ويطيل النظر فيه بترقب أملا فى وصول المعشوق كأن عينيه تحولت وأصبحت أربعة لشدة تركيز العينين على الطريق.

(٢) ضفائر (زلفى) بالأفغانية و(گيسو) بالدرية فى اصطلاح الشاعر الصوفى عبارة عن طريقة الطلب.. طلب الطالب للمطلوب.

القمر والشمس يخجلان من حسنهما وجمالهما
من أجل ذلك يخفيان وجهيهما من وراء جبل القاب[1]
إننى أعرفك جيدا بأنك فى الأصل من التراب
فإلى متى ستنثر بالإصبع التراب المعلق عليك للتنفيض؟
إن كان خيال الحبيب وصورته مازال مستمرا أمام عينيك
فعليك أن تعلم أولا حقيقة سيل الدموع من العيون
سيستيقظ حظ عبد الرحمن فى ذلك الوقت
الذى إن فتحت فيه عينيك من النوم ونظرت إليه

" ٦٣١ "

' ٤٩- الربط بقيود الضفائر '

اربطوا يدى بحبل سميك من الضفائر[2]
ثم بيعونى إلى جزار العيون
فى سيف عينيه الاثنتين لمعان
بلا رأس كالحباب الذى ليس له رأس

---

(١) جبل القاب: القاب أو القاف اسم جبل وهمى لا وجود له أصلا. وقيل إنه عبارة عن جبال قفقاز، وهى فى نظر الأستاذ أحمد على كهزاد عبارة عن جبال هندوكش الشهيرة. راجع تاريخ أفغانستان ١: ٣٨٣ – ٣٨٥، وجبل القاب يشبه طائر العنقاء فى العربية، و " سيمرغ " بالدرية. فالقاب، والقاف، والسيمرغ، والعنقاء والغول أسماء لمسميات موهومة لا وجود لها أصلا.

(٢) الضفائر: لمعرفة الغرض من الضفائر عند الصوفية راجع ص ١٧٩ هـ ٢ من هذا الكتاب

عندما يضع السرج على ظهر فرس السماء من دلاله
فإن هذا الهلال ينزل ليحل محل الركاب
ويجعل شحاذ عتبة حسنه وجماله أيضا
القمر وكذلك الشمس وفى أيديهما إناء الدراويش
حين أتذكر شفائفها الحمراء وحلقة أنفها الحمراء
فإن شهبا حمراء تسيل من عينّى الاثنتين
حين أنظر إلى رواء وجهه وضيائه
كأن رواء الورود ونضارتها فى نظرى لا يساوى شيئا
عندما يظهر لنا نسيم ضفائره ويهب
فإنه يغرقنى كاملا فى بحر من المسك والورد
أشعر بالفرح والسرور حين أسمع نباح كلبه
كمن يشعر بالرضا والراحة بنغمة الربابة وطربها
كنت أقول: لعلنى أرى وجهه فى النوم
ولكن كيف يمكن أن ينام حبيب من غير الحبيب؟
يتم فى قصيدة الغزل انتقاء بيتين من الشعر
أما غزل عبد الرحمن فكله منتقى ومختار

" ٦٤١ "

٥٠- المطرب والربابة

كل مطرب[1] حين يقوم بلف ملوى الربابة فإنه يدمر قلبي من النشوة بهذا اللف حين أسمع نغماته وهو يشدو الشعر أفقد عقلي ممزقا فتحة القميص ثملا نشوانا إن وتره وكذلك قوله يؤثران تأثيرا كبيرا بحيث ليس في مقدور أحد تحمله أو مقاومته الأول نغمته، والثاني صوته كصوت الراقصات الغانيات الثالث الشعر المنتقى الذي يبدأ به ذلك ورابع ذلك أحد السقاة الذي يجلس بجانبه والذي لا تعادله الشمس ولا القمر في الجمال هذه الفتن الأربعة هي في الزوايا الأربعة وخامسها الكأس الخاصة بالخمر الخالصة السادس موسم الربيع، والسابع الشباب والثامن الانشغال بقراءة الكتاب، والتاسع الربابة

---

(١) مطرب: هو في كلام الصوفية المرشد الكامل الذي يأتي بالفيض ويغمر قلوب العارفين بالحقائق بعد كشف رمزها. ويقول بعضهم إنه مطرب العشق، وله عجيب من لحن، وغريب من غناء، وكل لحن من لحونه يفضي به إلى طريق.

فحين يجتمع مثل هذا الكم من الآفات والابتلاء
فكيف يمكن لأحد أن يقوم بالاجتناب عنها؟
من لا يؤثر فيه هذا العدد من مغريات الفؤاد
فإنه إما أن يكون عفريتا، أو جدارا، أو دابة
ستبدو لنا واضحة تقوى المتقين ونزاهتهم
عندما يتمكنون من مجلس فيه الشاهد[1] والشراب
أنا عبد الرحمن أطلب الحماية من زهد فيه رياء
لأن الزهد[2] الذى فيه رياء عذاب وعتاب

" ٦٥٢ "

' ٥١- البحث عن الوشم '

أقوم بتفتيش أوراق كل مكتوب
أبحث فيها عن وشم ورسم خط مطلوبى
حين أتصور دواخلى من خلال العشق
فإنه إما أن يكون تنورا، أو دكان الحدادين[3]

---

(١) الشاهد: استعمل الشاعر هذه الكلمة بشكلها العربي الصحيح، وهى تعنى فى الأدب الأفغاني الصوفي المحبوب والمعشوق المرغوب.

(٢) الزهد: عند الصوفية أساس الأحوال المرضية، وأول قدم القاصدين إلى رب العالمين، ومن لم يحكم له في الزهد أساسا لم يصح له شئ من بعد، لأن حب الدنيا رأس الخطايا والزهد فيها رأس الطاعات.

(٣) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

يقوم المجذوب بإلقاء نفسه إلى النار ضاحكا
ما ابتلا الله أحدا مجذوبا[1] بجذبة العشق
إنني حين أتذكر هموم الحسان من داخل قلبى
فإن قلبى ينطلق منى غارقا فى هذه الهموم
انظر! كيف يسهل العشق للعاشق وييسر له
هذه المحن الصعبة كمحن أيوب عليه السلام
بلغ فى الاستمرار فى البكاء إلى الحد
الذى فقد يعقوب نظره فيه فى البحث عن يوسف
هذا عشق حين أصبحت المحبوبة للعاشق
طلعة جميلة رائعة بأسلوب وطريقة الحسان
كيف تسأل عن حال الهجران والوصال ذلك
الذى يصبح هو نفسه محبا ومحبوبا
حين نظر إلى المعانى بدلا من الصورة والشكل
فقد أصبح القبيح والجميل سيان عند عبد الرحمن

" ٦٦١ "

(١) المجذوب عند الصوفية من طهر الله نفسه، وبلغ المقامات العالية، حتى يصبح مسلوب العقل، وينال بعد ذلك مرتبة المجذوب المطلق، ومجذوب الحق.

' ٥٢- القسمة والنصيب '

حين أنظر وأفكر فى القسمة والنصيب
يصبح كل بحثى وسعى وتدبيرى ليس بشىء
لعل اللّه نفسه طبيب شخص من الأشخاص
وإلا فإنه لا وجود فى العالم لطبيب آخر
إن الربح والخسارة لأهل التنافس والرقباء واضحة
إن لم يجعل الله حبيب أحد رقيبا ومنافسا له
حين يصبح حبيب عاشق رقيبا عليه، فشأنه
شأن من أصبح غريبا فى وطنه أجنبيا
من أصبح فى عداد الغرباء فى الوطن فإنه لا فرق
بأن يكون البعد بمقدار فرسخ أو جريب[1]
إننى لم أحصل فى العشق على شئ غير الهم
وكل ما يقوله الأديب فى ذلك فهو كلام طيب
إن العدو أحيانا يصبح صديقا للإنسان
ولكن الحبيب لا يتعامل مع عبد الرحمن بالحب

" ٦٦٨ "

(١) جريب: جمعه أجربة وجربان، مساحة من الأرض تعادل عشرة آلاف متر مربع. والجريب بالعربية بمعنى المزرعة، ومكيال قدر أربعة أقفزة.

' ٥٣- الراغب والغائب '

إننـــى راغـــب فيـــك بمائـــة طريقـــة
وأنـــت غـــائب عنـــى بمائـــة طريقـــة
مـــاذا ســـيصبح يـــا مـــن ســـلب قلبـــى
حيـــث إننـــى عُمـــل وأنـــت تـــائب
لـــو أشـــتكى مـــن ظلمـــك وجـــورك
فـــإن هـــذا غـــير مناســـب ولا بلائـــق
وإن أقـــول شـــيئا لا وســـع لى فيـــه
لأننـــى مغلـــوب وأنـــت غـــالب
مـــا معنـــى التنـــافس والمســـاواة
بـــين المطلـــوب (الحبيـــب) والطـــالب؟
إن محبتـــك وعشـــقك قـــد جعلـــه
الله مـــن الواجـــب علـــىّ واللازم
إن آلامـــك وهمومـــك ليســـت بمقـــدار
حتـــى أتمكـــن مـــن تحريرهـــا بواســـطة كـــاتب
إن الفـــراق والتبـــاعد شـــاق وصعـــب
بـــين الأرواح وبـــين القوالـــب

عندما كان المجنون[1] فى سكرات الموت يحتضر

فإنه قد تركنى نائبا له

فقد وصانى فى ذلك

وصية فيها ألوان من العجائب

"وليكن من نصيبك يا عبد الرحمن

كل مراتبى ومناصبى فى ذلك"

"٦٧٩"

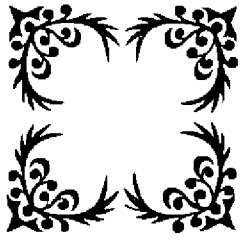

(١) المجنون: المراد من المجنون بمجنون ليلى الذى يشتهر فى الأدب الأفغانى أيضا. راجع ص ١٣٠ هـ ١، ١٣٧ هـ ١ من هذا الكتاب.